



## رد من نيقولوس فان دام حول كتابه عن سوريا

# كيف تناقشون كتاباً ممنوعاً من التداول؟

### نيقولوس فان دام\*

الرئيس حافظ الاسد وبالبيانات الرسمية الصادرة عن وزراء سوريين ومسؤولين رسميين، كما قمت بالرجوع الى وثائق حزب البعث والمؤلفات البحثية بتوسع، فهل تفشل التقارير الرسمية لمؤتمرات الحزب العديدة والمجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي «الناضل»، على سبيل المثال، في أن تعكس رأي النظام؟ هل يتفضل السيد شعبي باطلاعي على الكتابات ذات الصلة التي يبدو أنني قد غفلت عنها؟

٤ - ويسأف السيد شعبي وهو يكتب «وإذا كانت العبيبة الكاتب واستخباراتيه (كذا) اعطته معلوماته الكثيفة التي يحاول ان يبهر بها القارئ، اما كان من الاولى أن تعطيه صورة عن تفاصيل العمل الدؤوب للدكتور بشار الاسد بصمت وتواضع مع طاقم عمل من الشباب»، ونظراً لأن الدكتور بشار لم يظهر في الصورة كثيراً الا بعد تخرجه من الكلية العسكرية بحمص في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٤، فلم اكن في وضع يسمح لي بتناول نشاطه بإفصاح، فقد تم نشر كتابي بعد حفلة التخرج بشهر ونصف الشهر، ولكن لحسن الحظ تمكنت من القيام بذلك في النسخة النهائية المزيدة المنقحة التي تم تحديثها، وهي على وشك الظهور بالاسواق».

٥ - ويقول السيد شعبي «الغريب ان عدم سماح الدولة بالحديث أو تناول الامور الطائفية لا يأخذ من الكاتب أكبر من اربعة اسطر». ولوانه قرأ الكتاب بتأن لوجد العديد من الاسئلة، ولكن هل لا بد لي ان اسهب حول استمرار حظر مناقشة الطائفية علانية أكثر من ذلك؟

٦ - لقد نفذت الطبعة الاولى من كتابي باللغة العربية خلال شهر قليلة من نشرها في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٥، وذلك رغم عدم توافرها خلال هذه الفترة في البلاد العربية التي من المفترض انها تضم الاغلبية العظمى من القراء المهتمين بهذا الموضوع. وطبقاً لما ورد بجريدة الشرق الاوسط فقد احتل الكتاب المركز الثاني في قائمة «اوسع الكتب انتشاراً» حتى نفاد كل النسخ. اني اتمنى ان يتسنى لجميع الذين قرأوا مقال السيد شعبي النقدي جريده السفير ان يقرأوا الكتاب أيضاً حتى يتسنى لهم الحكم عليه بانفسهم. إن اطلاع قراء جريدة السفير على مقال سلمي للغاية حول كتاب ليس في متناول ايديهم ليس الا هانة لعقلية القارئ، بل وأيضاً تؤكد على استمرار حظر مناقشة الطائفية وغيرها من الولايات الاساسية علانية. فأذا كانت القضايا التي تناولتها في كتابي والتي تشكل لب الموضوع لا تلعب دوراً هاماً فما المانع اذا من مناقشتها؟ إن المناقشات التي تدور حول ما هو غير ذي صلة سريعا ما تزول وتنتهي بالنسيان... وتفضلوا بقبول وافر التقدير والاحترام...

اني اعترف بأن المصادر السابق ذكرها «غريبة» بالفعل، واذا كان هناك ما يعيب المراجع «الغريبة» فما هي آراء المصادر العربية في الطبعة الاولى من كتابي اللغة العربية؟ اليكم بعض الامثلة:

- الجمهورية القاهرة، ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٥: «القيمة الحقيقية للكتاب... في المعلومات التي يقدمها - بالارقام - عن التقسيمات الطائفية والعشائرية والاقليمية لسكان سوريا، وهي معلومات قد لا تتوافر للقارئ العربي بنفس هذه الدقة، من مصادر أخرى».

- الدستور، عمان، ١٤ (آذار) ١٩٩٥: «لاول مرة يظهر مؤرخ عربي يتحدث عن قطر عربي... يواكب ايامه الحاضرة يوماً بيوم بكل موضوعية ودقة».

- الاهرام، ٣ فبراير (شباط) ١٩٩٥: «إن كتاب فان دام قد تقبله او تختلف معه، ولكن لا غنى عنه لمن يهتم بالشؤون العربية المعاصرة».

- القيس، ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٥: «قراءة الكتاب ضرورية، ليس فقط للمباحثين والمتخصصين ولكن للقارئ ذي الاهتمام السياسي العام، ايضاً».

- الحياة، ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٩٥: «كتاب لا بد منه للمهتم بالشأن السياسي السوري، وبعلاقات سوريا بجوارها، فضلاً عن تطور الجدل السياسي - الاجتماعي، القديم الحديث في داخلها».

٣ - ويعلق السيد شعبي بأن «رأي السلطة غائب في هذا الكتاب، اذ ان ايراد بعض النشرات الحزبية وبعض الوثائق الرسمية وشبه الرسمية، لا يعكس الا جانباً جزئياً من موقف النظام السياسي في سوريا». وفي الواقع قد استشهدت بشكل واسع بخطابات

سوري يطلع عليه». ويذكر اني احيانا اوفر معلومات غير صحيحة في شكل ارقام «يمكن ان تضعها في قائمة معلومات أخرى غير دقيقة يضعها الكاتب احيانا في صيغة ارقام وهي اغلبها تقديري ووصفي في محاولة لاقتناعنا برصانة البحث الاكاديمي الاحصائي». فهل يتفضل السيد شعبي بتقديم الارقام والبيانات الصحيحة لاطلع عليها انا وغيري من القراء؟

وسوف اكون ممتناً لاي شخص يود ان يحدد لي «الخطأ» الكثيرة التي يشير اليها السيد شعبي حتى يكون باستطاعتي ان اقوم بتصحيحها في الطبعة المقبلة، والا ساضطرن ان اعتبر المعلومات والبيانات التي اقدمها صحيحة الى ان يثبت خلاف ذلك.

٢ - ويبدو ان السيد شعبي يحاول تقويض مصداقية دراستي بقوله «رصد ناشره الصفحة الاخيرة من الغلاف لاشادة مراجع صحافية وسياسية غريبة به، اشادة دعائية تحدثت عن الموضوعية التي يحفل بها الكتاب». فاذا كان السيد شعبي يرى أن الجلات الاكاديمية العلمية المتخصصة الاميركية والبريطانية الجديدة بالاحترام البالغ مثل: The American Historical Review, The Middle East Journal, Middle East Studies Association Bulletin, MERIP Reports, Gazette Review,

لا تعدوان تكون الا «مراجع صحافية وسياسية غريبة»، فهذا امر خاص به، ولكن علي ان اختلف معه، واذا كان السيد شعبي على حد تعبيره المتواضع «تلميذاً بسيطاً في الدكتوراة» في العلوم السياسية، فأود ان اعلم ما هي الجلات الاكاديمية العلمية التي يقرأها ويحترمها هو شخصياً؟

السيد طلال سلمان، رئيس تحرير جريدة السفير، تحية طيبة وبعد،

لقد اطلعت باهتمام بالغ على مقال جريدة السفير بتاريخ ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٩٥ للسيد عماد فوزي شعبي حول كتابي «الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والاقليمية والعشائرية في السياسة، ١٩٦١ - ١٩٩٤» الذي نشرته مكتبة مدبولي بالقاهرة في يناير الماضي، ويبدو جلياً من عنوان مقالته «معالجة بروح التفكير... والفتنة» انه لا يوافق مطلقاً على ما اكتب، كما اني لا اوافق مطلقاً على عنوان مقالته كوصف مناسب لكتابي. وسوف اركز هنا على وضع نقاط من انتقاداته، تاركاً للقارئ حرية الحكم على الامور بعد اطلاعه الشخصي على الكتاب. ولكن اولاً وقبل كل شيء اود ان اعرب عن امتناني للسيد شعبي عن مقاله الموسع هذا، ولجريدة السفير عن نشرها اياه، فبفضل هذا المقال عرف الكثير من السوريين بوجود كتابي، الامر الذي لم يكن ليصل لعلمهم بدونك. واليكم بعض الملاحظات:

١ - السيد شعبي - وهو كاتب بعثي سوري - يلاحظ ان كتابي مليء بالاطعاء وعدم الدقة «والامثلة كثيرة جداً ولا تكاد تعد»، على حد تعبيره، الا ان الخطأ الوحيد الذي يسرده هو استشهاد خاطيء حول الحظر المؤقت لدخول جريدة الحياة في سوريا. فاذا كان «الخطأ» الوحيد الذي استشهد به غير صحيح، فماذا عساي ان اقول عن بقية «قائمة الاطعاء» التي يذكرها السيد شعبي؟

ويسنرسل قائلاً: «انها مليئة بالاطعاط التي يعرفها اي مواطن